الفصل، استعراض الطبقات والشرائح الاجتماعية، في فلسطين، بمختلف الفئات، اعتماداً على احصاء السكان لسنة ١٩٣١، وتحليل المعطيات الرقمية اجتماعياً، بدءاً من المستخدمين في الزراعة، والعاملين في الصناعة والحرف والبناء والتجارة والشؤون المالية والخدمات، انتقالاً الى شروط العمل والأجور، ومنظمات العمّال والاضرابات. وفي هذا السياق، حلّلت غوجانسكي الصراع الطبقي في القطاع اليهودي، والقطاع العربي، من الانتاج، والطابع العنصري للهستدروت، ودورها في المخطط الاستيطاني الصهيوني، عبر احتلال العمل والسوق من العرب. كما تمّ التطرّق الى اقامة التنظيمات النقابية العربية، والكفاح المشترك اليهودي ـ العربي في بعض الاماكن، ودور الشيوعية في هذا الصراع.

وخصّصت المؤلفة الفصل السادس، الأخير من كتابها، لاستخلاصاتها واستنتاجاتها، والتي يمكن حصرها في ثلاثة استنتاجات رئيسة هي: ان التطور داخل فلسطين لم يكن تطوّراً متساوياً، نتيجة للدعم البريطاني للاستيطان، اضافة الى بروز نزعة العزلة كنتيجة أولية للاستيطان الصهيوني، وعزل القطاع اليهودي عن القطاع العربي، وأخيراً بروز ظروف اجتماعية ـ اقتصادية أدّت الى ظهور طابع مزدوج في فلسطين. وفي هذا السياق، عالجت غوجانسكي قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين الى دولتين، يهودية وعربية، وما لقيه هذا المشروع من رفض شديد من القيادتين، الصهيونية والفلسطينية، الأمر الذي حال دون التقسيم، وأدّى، من بين ما أدّى اليه، الى سقوط الخيار الفلسطيني في اقامة الدولة الفلسطينية.

المنهج العام

من الواضح ان المؤلفة لجأت الى منهج التحليل المادّي في تفسير التاريخ، وتمكّنت من تجنّب الوقوع في اطلاق الاحكام المسبقة، أو وضع الاستنتاجات قبل المقدّمات. ولعلّ أبرز ما ساعدها في ذلك، هو حرصها الدؤوب على استيفاء معلوماتها من الجداول الاحصائية خلال فترة الانتداب البريطاني. فقد أُخذت، في الغالب، «من النشرات الرسمية لحكومة فلسطين، ومن المؤسسات البريطانية، ومن تقارير لجان التحقيق البريطانية والانكلو ـ اميركية، ومن نشرات المؤسسات الصهيونية المختلفة» (ص ١٢)، اضافة الى أدبيات ونشرات النقابات والاحزاب المختلفة. ويبدو، من خلال المعالجة، حرص الباحثة الشديد على اتباع الموضوعية، والتوصّل الى النتائج من خلال الحقائق الرقمية. أمّا في ما يتعلق بتقسيم الكتاب، وخطة العمل لانجازه، فقد جاءت منسجمة مع هدف البحث وموضوعه، انسجاماً كبيراً، حتى ان كل فقرة من فقرات فصوله جاءت مترابطة مع ما سبقها، ومع ما لحقها، ترابطاً جدلياً واضحاً. اضافة الى ذلك، فان الكتاب يتميّز بملاحقه. فقد جاءت مستحدثة وجديدة، وتنشر، لأول مرة، باللغة العربية؛ ولعلّ أبرزها «قوائم تركيز الاراضي» (ص ٤٠ ـ ٤٣)، اضافة الى تثبيت ٥٢ جدولاً، جاء معظمها مترجماً عن *Statistical Abstract of Palestine*، وجميعها ورد في سياق البحث.

باختصار، يمكن القول، ان تمار غوجانسكي نجحت في تحقيق الهدف البحثي، وتمكّنت من التوصل الى نتائج ذات صفة هامّة، في سياق الدراسات التاريخية الاقتصادية، خلال فترة الانتداب؛ وتمكّنت، بالتالي، من تدعيم وجهة نظرها السياسية، من خلال ربط ما توصّلت اليه من نتائج بما تشهده اسرائيل من مشكلات اقتصادية، واجتماعية، معاصرة.

سميح شبيب